موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية

د. جورج حبيب بباوي

مع المسيح

من العلية إلى الجلجثة ومجد القيامة – (٤)

المسيحُ حيٌّ معنا وفينا

www.coptology.com

Coptology
Ϩⲁⲛⲱϣ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

مع المسيح

من العلية إلى الجلجثة ومجد القيامة (٤)

المسيحُ حيٌّ معنا وفينا

دكتور چورچ حبيب بباوي

أسبوع البصخة

٢٠١٥

www.coptology.org

مع المسيح،
من العلية إلى الجلجثة ومجد القيامة

المسيحُ حيٌّ معنا وفينا

المسيحُ حيٌّ معنا

من السهل علينا أن نقول إن المسيحَ حيٌّ في وسطنا ومعنا حسب الوعد "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر آمين" (متى ٢٨: ٢٠)، ذلك إيمانٌ عام شائعٌ عند كل المؤمنين. لكن "معنا" حسب أسفار العهد الجديد، ليست فكرةً أو إشارةً لفظيةً إلى قدرة الرب الإلهية. حسب التسليم الكنسي، "عمانوئيل" هي "معنا الله"، أي المتجسِّد. ولذلك، للقديس أثناسيوس تعبيرٌ مشهور ورد في أكثر من موضع هو تعبير "الحضور المتجسد"، أو "حضوره متجسداً"، فلا فرق (راجع تجسد الكلمة ١٨ – ضد الأريوسيين ١: ٢٣ – ٢: ٥٥ – ٢: ٦٦). فهو قام حيَّاً من الأموات، وأحيا الجسد لكي يكون معنا إلهياً وإنسانياً في شخصه الواحد غير المنقسم إلى اثنين.

قيامة المسيح جعلته رأسَ الجسد، أي الكنيسة:

بداية الكنيسة هي في مسقط رأس الإنسانية المفتداة في بيت لحم[1]. ففي بيت لحم تمَّ اتحادُ اللاهوت بالبشرية في الشخص الواحد لكي يفتح لنا نحن باب الاتحاد. هو في "حضن أبيه كل حين" حسب قسمة عيد الميلاد، وكان من الضروري أن يفتح لنا نفس الحضن الأبوي لكي نستقر نحن فيه **معه وبه**.

---

[1] عبارة مأثورة للقمص متى المسكين.

كانت البشريةُ غريبةً عن الله، **أولاً**: لأنها مخلوقة من العدم. **وثانياً**: لأنها اختارت طريق الموت، وهو ذاته طريق الخطية.

وإذا كان طريقُ الموت عائقاً أمام "معيِّة" الله، فالخلقُ من العدم أيضاً عائقٌ لها؛ لأنه لا يؤهِّل للخلود، ولا يمنح للإنسان حياةً أبديةً. هذا الاغتراب، كان يمكن التغلُّبُ عليه؛ لو ظلَّ الإنسانُ صورة الله (تكوين ١: ٢٦-٢٧ – تجسد الكلمة ٤: ٦). ولكن الإنسانَ اختار طريقاً آخر، وهو أن يكون صورةً لذاته التي لا تملك الوجود الذاتي فسقط في الموت.

جاء ابن الله ونقض العائقين معاً..

+ فقد وحَّد المائتَ بغير المائتِ، أي البشريةَ بالأُلوهةِ.

+ وأباد الموتَ بقبوله الموتِ، وأباد العدمَ بعطية الحياة الأبدية، ونقل أصل الجنس البشري من آدم الذي جلب الموت، إلى كيانه الذي فيه الحياة الأبدية (١كو ١٥: ٤٥ – ٤٧، الرسالة إلى أدلفوس: ٩، ضد الأريوسيين ٣: ٣٣).

ذلك التحوُّل، كان ضرورياً لبقاء الجنس البشري حيَّاً إلى الأبد، ولكي لا يفنى بالموت؛ "لأن الجنس البشري كان سيهلك بالتمام لو لم يكن ربُّ الكلِّ ومخلِّصُ الجميع ابن الله قد جاء ليضع حداً للموت" (تجسد الكلمة ٩: ٤).

لكن جاء الصلبُ ورفَعَ عائقَ الموت والدينونة، وفتح بابَ الشركة. فكيف ينقلُ إلينا المسيحُ ربُّ الحياةِ هذا التحول النهائي؟ التعليم السائد منذ عصر الإصلاح، والذي تفشَّى في مصر هو أن الإيمان بما حدث، لا سيما الصلب، كافٍ جداً، ولكن هذا التعليم مزيَّفٌ بكل ما تعنيه كلمة مزيَّف، للآتي:

أولاً: لأن التجسُّد لم يكن تعليماً فقط، بل حقيقة تأنس ابن الله.

ثانياً: التحوُّل هو تحول كياني تمَّ في آدم الأخير، فقد أخذَ الكلمةُ ابن الله "جسداً قابلاً للموت حتى يمكن أن يُبيد الموتَ فيه، ويجدِّدُ خلقة البشر الذين خُلِقوا على صورته" (تجسد الكلمة ١٣: ٩)، والمقصود هنا هو إبادة الموت من البشرية أو "من داخلنا نحن" (تجسد الكلمة ١٦: ٥).

الاتحاد بالرب يسوع هو اتحادٌ إلهيٌّ سِرِّيٌّ:

أُلوهية هذا الاتحاد عائدةٌ إلى القوة الإلهية التي أبادت الموت، وإلى شخص المخلِّصِ نفسه الإله المتجسد الذي حوَّل كيانه هو بقبوله الموت في جسده. حقاً نحن نأتي إلى هذا بالإيمان، ولكن الإيمان هو قبول نعمة التحوُّل. هو قبول الحياة الغالبة الموت؛ لذلك تُوِّجَ المسيحُ ملكاً على الجسد، وصار "رأسَ الجسد"؛ لكي من الرأس، تنمو كل الأعضاء، كما ذكر معلم الإنجيل (كولوسي ١: ١٨).

ما حدث للربِّ هو ما يُسلَّمُ لنا باسم "التدبير" من الولادةِ إلى الصعود. هو مراحل تكوين الإنسانية الجديدة، أي إنسانية يسوع. والأمر لا علاقة له بعلم الحركة، فالذين يطبقون ما تعلموه من قوانين ميكانيكا الحركة على تدبير الخلاص، يقعون في أخطاءٍ جسيمة، يظنون بناءً عليها أنه يمكنهم اتهام غيرهم بالهرطقة!!

هذا الاتحاد يسمحُ للجسد بأن ينمو حسب القانون الطبيعي، وحسب نموه الطبيعي، ولذلك هو ينمو مُتَّحداً؛ لأن النمو من خصائص البشرية، وهبةُ الاتحاد هي هبةُ المحبة الإلهية. محبةُ البشر هي محبةُ الطبيعة البشرية، وهي بدورها محبةُ الاشخاص أيضاً؛ لأن محبة الطبيعة بدون محبة الشخص، هي محبة مجردة عقلية ترفض الكيان الإنساني – اللحم والدم، وفي القيامة تحوِّل ذلك اللحم إلى عدم الفساد، وهو ما ندركه سرائرياً في الإفخارستيا عندما نأخذ الجسد الذي لا ينقسم ولا يفسد. وكل الذين حاولوا تحليل السر كيميائياً سقطوا في خطأين:

الأول: أنهم لم يدركوا أن أدوات التحليل هي أدوات مادية فقط، بل والمنهج نفسه أيضاً، فقد سمعنا أن أسقفاً إنجليزياً قدَّسَ كمَّاً من الخمر، ثم أخذه إلى المعمل بحثاً عن كرات الدم، فلم يجد. وبالطبع هي لن تكون؛ لأن هذا الدم ليس دماً بشرياً فاسداً مكوَّناً من عناصر مائتة نراها تحت الميكروسكوب، بل هو هبة الحياة غير الفاسدة المستعلَنة بالروح القدس. هذا ليس هرباً من الإجابة، وإنما هو الواقع الحي: حياةٌ إلهيةٌ لا تسمح بعودة ما هو إلهي إلى ما هو بشري بعد القيامة. ولذلك، الأخوة الذين يظنون أن التناول يجعل بعضَ أجزاءٍ من جسد المسيح يظل بين أسنانهم، عليهم أن يعلموا أنهم قد أعادوا المسيح إلى الموت، فصار يتجزَّأُ إلى أجزاءٍ، وصار قابلاً للفساد بالانقسام. هؤلاء

لم يُدركوا حقيقة القيامة بعد.

والثاني: لم يدرك هؤلاء أيضاً أن المجال الإلهي لا يتفوق فقط ويعلو على المجال المادي بسبب المصدر والقوة المانحة، بل لأن للمجال الإلهي هدفاً أبدياً، وهو إعادة الإنسان إلى حياة عدم الموت، أي الحياة الخالدة الأبدية التي تُعطى لنا في زمان التجديد (متى ١٩: ٢٨)، أي زمان وجودنا على الأرض. هذا المجال الإلهي هو عمل الكلمة المتجسد، وقد فُتِحَ لنا بالقيامة. فالمسيح يدعونا إلى أعماق الله، أعماق المحبة الثالوثية، وإلى السكنى في الثالوث، وبه، أي بيسوع الحي؛ ندخل إلى هذه الحياة الجديدة جداً (رو ٦: ٣)، والتي لا مقاييس أرضيةً لها، بل لا توجد لها مقاييس بالمرة. هذا ليس هروباً من السؤال أو التخفِّي وراء ما هو إلهي، بل هو حقيقة استعلان ما هو سمائي وحي وأبدي في زماننا الذي يعاني من الموت، ويعرف البداية والنهاية، بل البدايات والنهايات كلها. هو زمانٌ عتيقٌ انكسر بالموت، ودخلت فيه الأبدية مستعلَنةً في المتجسِّد ربنا يسوع، وجاء يسوعُ وجلسَ على عرش الألوهةِ بالصعود، حاملاً معه إنسانيةً حيَّةً خالدةً مجيدةً متَّحدةً به؛ فصارت المسافات هي إبراز الاختلافات، والتمايُز لا الفصل بين الكائنات، وصارت السماءُ تُعايَن في الخدمة الإلهية بتسبيح الشاروبيم والقوات العلوية. وعندما نسير في موكب الحياة في الخمسين المقدسة حاملين الصلبان وأيقونة القيامة، فنحن بكل تأكيد نقول إننا دخلنا الميراثَ السماوي بالصليب والقيامة، وإننا في موكب نصرة الحياة[١] مرتِّلين مع "كل صفوف السمائيين"، فقد جاء الذي وحَّدنا بالحياة غير المائتة.

في الحياة الجديدة ندرك ثلاثة أبعاد أساسية، وهي:

أولاً: أنها ليست مِنَّا، ولذلك عندما نبحث عنها فينا، قد لا نجدها؛ لأن مصدرها المسيح والروح القدس.

ثانياً: أنها تُدرَكُ بالمعايشة، وبرفض تطبيق آليات الحياة الاجتماعية واليومية ومثالياتها على الحياة الجديدة. مثل استخدام كلمة "الاستحقاق" بمعناها السياسي، وهو أن تكون قد أديت خدمة شاقة مشرِّفة، في مجال الحياة الجديدة، بينما الملكوت ليس استحقاقاً بهذا المعنى، بل هو للمساكين، والغفران هو للخطاة، والمحبة هي للبشر

---

(١) يُوصف هذا الموكب شعبياً، بأحط وصف: "زفة القيامة".

المنكسرين.

ثالثاً: ما ليس مِنَّا، وما لا يؤخذ حسب معايير ومقاييس الحياة الاجتماعية والسياسية والقانونية، يجب أن يعود إلى مصدر واحد فقط، هو الحي يسوع رب الحياة.

ومعيار الحياة القائمة، ليس أنه بلا موت[1] بل أنه كما نقول في الأوشية: "أيها الطبيب الحقيقي الذي لأنفسنا وأجسادنا يا مدبِّر كلَّ جسدٍ تعهَّدنا بخلاصك".

+ نحن مدعوون إلى اكتشاف القيامة، وإلى اكتشاف حركة الحياة التي جاء بها المسيح الحي، ونقلُهُ لِما في كيانه إلى كياننا الميت.

+ نحن مدعوون إلى الولادة من فوق، ومشكلة معمودية الأطفال التي تتم بدون إعداد يجب أن تُحل على وجه السرعة؛ لكي يدرك الأطفال أنهم جاءوا إلى الحياة الجديدة، ليس من الأب والأم، بل من الله.

+ نحن مدعوون إلى ذات الاتحاد الذي أكمله الرب يسوع في جسده، أي اتحاده بالبشرية، فقد وحَّد أُلوهيته بالبشرية لأجلنا. وعندما يشرد الفكر بعيداً، يظل الكيان الذي وُلِدَ من جديد، هو كيان من نال التبني.

+ نحن مدعوون إلى البحث عن الآثار السلبية التي تركها الموت فينا، وكيف أن الخوفَ على الجسد هو علامةٌ خطيرةٌ تجاوزها شهداء سمالوط، فانقذوا الشجاعة التي نامت تحت ركام الكسل والتراخي.

+ نحن أغصان الكرمة الحقيقية، ومهما حَرَّكَ الريحُ الغصنَ، فإنه يظل ثابتاً في الأصل. إن أفكارنا ومشاعرنا ليست هي مصدر الاتحاد، بل يسوع هو المصدر. ولعل أفدح الأخطاء هو التعبير عن ذلك من خلال العلاقة العاطفية التي تخضع لعواصف العواطف، وهو ما يجعلني حذِرٌ جداً من تراتيل تقال في الاجتماعات لتحريك العواطف الراكدة. لكن اتحادنا بالمسيح هو اتحادٌ إراديٌّ، سواء وُجدت العواطف والمشاعر أو لم توجد؛ لأن يسوع هو "صخر الدهور"، ليس مِن صُنعِ أو فعلِ الإنسان، بل هو هبةُ الآبِ لنا، وهو هبة محبة.

---

(١) أي سلبي، بل إيجابي.

المسيحُ حيٌّ فينا:

إذا كنت أظنُّ أن التوبةَ عن الخطايا هي التي جعلتني مسيحياً، فأنا قد وقعت في عدة أخطاء جسيمة. الذي جعلني مسيحياً هو الولادة من فوق، وهي ليست التوبة، بل تجديد الكيان؛ لأن الذين وُلدوا ليس من دم ولحم، هم بالتالي، ليسوا الذين قرروا بالإرادة أن يتوبوا. والذين ولِدوا ليس من مشيئة رجل، أي نتيجة الزواج، لم يُولدوا ولادةً بيولوجية، بل ولادة من الله، أسَّسها ربنا يسوع المسيح ليكون هو "بكراً بين أخوة كثيرين" (رو ٨: ٢٩). وعليك عزيزي القارئ ألَّا تعبأ بما يلقيه الشيطان نفسه من كلام عن الجوهر والأقنوم والنعمة .... الخ تلك ألاعيب لفظيةٍ لها قصدٌ واحدٌ، هو تشتيت خبر الإنجيل السار، ونقل العطية من الثالوث إلى الصراعات اللفظية الجوفاء، لكي يصبح كل ما لدينا هو إنساني فقط، أي اللغة والمصطلحات والمفردات والمبادئ الفلسفية، بينما يضيع الاتحاد، أي اتحاد المحبة الأبدي.

+ المسيحُ فينا؛ لأننا بدون وجوده فينا، لسنا أبناء، فلا شيء يجعلنا أبناء الله إلَّا حلول المسيح فينا.

+ المسيحُ فينا؛ لأنه حسب صلواتنا: "هو قيامتنا كلنا وحياتنا كلنا".

+ هو فينا إلهياً؛ لأنه الإله، وهو فينا إنسانياً؛ لأنه ينقل من بشريته الحيَّة بالاتحاد بلاهوته إلينا الخلودَ وعدم الموت، وقبل هذا وذاك، المحبة.

+ هو ينقل إلينا المسحةَ التي أخذها من الآب، أي الروح القدس. ويجعل هذه المسحة فينا لكي نتعلم من الروح القدس كيف نحيا، وكيف نعيش، وكيف يثبِّتُنا الروح في الابن المتجسد (٢كو ١: ٢١).

هذا هو زخم القيامة.

جلسَ الربُّ على عرش اللاهوت حيَّاً بعد قيامته وصعوده، وكان يتردد على الأرض لكي يسلِّم التعليم للرسل طوال ٤٠ يوماً، ولا زال يفعل ذلك مع كلِّ إنسانٍ، فهو:

- الراعي الصالح الذي يبحث عن الخروف الضال.
- نورُ العالم الذي يُنير كلَّ مَن غلبته ظلمةُ الشك.

- خبزُ الحياةِ الواهبُ الحياةَ للعالم.

هذا قليلٌ من كثيرٍ نتركه للقارئ، ولكن الأساس الذهبي هو أن كل ما في حياة الرب قد وُهِبَ لنا بالقيامة؛ إذ صار المسيحُ الحيُّ يسكن فينا لنُولَد ونحيا ونتحرك به وفيه.

+ أنت فينا ومعنا، ولا فرقَ بين الاثنين.
+ أنت معنا مَلِكٌ، وفينا حياة.
+ أنت معنا إلهٌ على الكلِّ، وفينا لأننا جسدُكَ.
+ أنت معنا الوسيط، وفينا لأننا أعضاءُ جسدِكَ.

المجدُ لكَ؛ لأنك أحييتنا.

كل عام وأنتم بخير

د. جورج حبيب بباوي

ابريل ٢٠١٥